الشيخ الغزالي وجهوده في علوم القرآن الكريم

إعداد:

هيا ثامر مفتاح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أورث كتابه من اصطفى من عباده المؤمنين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين المؤيد من ربه بالقرآن الكريم وعلى آله وصحبه وكل من قرأ القرآن وعمل بما فيه إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن القرآن الكريم هو الكتاب الذي ختم الله به كتبه المنزلة على خيرة خلقه وصفوة رسله ومن ثم استودع فيه ما تفرق فيها من تعاليم كريمة ووصايا عظيمة وأضاف إليه ما تحتاج إليه البشرية في مسيرتها الحضارية من أحكام شافية وتشريعات كافية.

ولذا ارتبط المسلمون عامة وعلماؤهم خاصة بهذا القرآن ارتباط الروح بالجسد فحفظوا آياته وسوره وفهموا معانيه ومراميه ودعوا إلى أحكامه وتشريعاته.

ولا ريب أن من طليعة هؤلاء في هذا العصر الحديث فضيلة العلامة الشيخ محمد الغزالي الذي سرى فيه القرآن سريان الماء في العود الأخضر فأنبته نباتا حسنا. فلا عجب أن دعا إلى أحكامه وإحكامه وحافظ على حروفه وحدوده وبين أسس محاوره وشرح كيفية فهمه.

نعم.. من المعروف لدى المشتغلين بالعلوم الإسلامية أن شيخنا الغزالي لم يكن له مؤلف مستقل بذاته أو مصنف قائم بنفسه في علوم القرآن بالمعنى التقليدي الذي درجت عليه المعاهد الدينية والجامعات الإسلامية.

بيد أن له مشاركة واضحة ومساهمة ظاهرة في علوم القرآن ضرورة اهتمامه بالدراسات الإسلامية العامة والدراسات القرآنية خاصة. آية ذلك تناوله لبعض موضوعات علوم القرآن التي كانت مثار اهتمام في الثقافة الإسلامية المعاصرة

مثل التفسير الموضوعي الذي عبر عنه أحيانا بالرؤية القرآنية الشاملة وعده النموذج الأفضل في فهم القرآن الكريم، ومثل التفسير العلمي الذي عرف على نطاق واسع في الدراسات الحديثة بالإعجاز العلمي ومثل التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي من حيث ضوابطه ومقاصده ومثل المدارس القرآنية الحديثة وهو ما عرف بمناهج المفسرين ومثل ترجمة القران ومثل قضية النسخ في القرآن الكريم التي له رأي شايع فيه السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار وإن اختلف معه غيره.

وقد تناولت كل هذه القضايا من خلال هذا البحث في كتبه المختلفة مع ربطها بما قرره المتخصصون في علوم القرآن

وفي هذا البحث حاولت أن أبين جهوده فى علوم القرآن الكريم وقد جاء بعد المقدمة على ستة مباحث:

فأما المبحث الأول: فقد تناولت فيه التفسير الموضوعي.

وأما المبحث الثاني: فقد تناولت فيه التفسير العلمي.

وأما المبحث الثالث: فقد تناولت فيه التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي.

وأما المبحث الرابع: فقد تناولت فيه المدارس القرآنية الحديثة (مناهج المفسرين).

وأما المبحث الخامس فقد تناولت فيه ترجمة القران

وأما المبحث السادس: فقد تناولت فيه قضية النسخ.

المبحث الأول: التفسير الموضوعي

التفسير الموضوعي عند أربابه هو بيان الأحكام القرآنية ذات الموضوع الواحد وإن اختلفت عباراتها وتعددت أماكنها مع الكشف عن أطراف ذلك الموضوع حتى يستوعب المفسر جميع نواحيه ويلم بكل أطرافه وإن إعوزه ذلك لجأ إلى التعرض لبعض الأحاديث المناسبة للمقام لتزيدها إيضاحا وبيانا[١].

لا شك أن الحاجة إليه ظاهرة لأنه عبارة عن شرح الآيات القرآنية ذات الموضوع الواحد التي تؤدي بالناس إلى أن يفهموا القرآن فيتبينوا اتصاله بواقع حياتهم حيث يرشدهم إلى الصالح منها ويجنبهم ما يكون حذرا لهم وعائقا عن طريق إسعادهم [٢].

قال العلامة الشيخ محمود شلتوت: وهذه الطريقة في نظرنا هي الطريقة المثلى وخصوصا في التفسير الذي يراد إذاعته على الناس بقصد إرشادهم إلى ما تضمنه القرآن من أنواع الهداية وإلى أن موضوعات القرآن ليست نظريات بحتة يشتغل بها الناس من غير أن يكون لها مثل واقعية فيما يحدث للأفراد والجماعات من أقضية تتصل بحياتهم من شئون[٣].

وقد قسم بعضهم التفسير الموضوعي إلى ثلاثة أقسام:

١) ما يتناول موضوعا معينا من خلال القرآن الكريم.

---

(١) كتاب التفسير الموضوعي للقرآن الكريم / أحمد السيد الكومي , محمد أحمد يوسف قاسم / ص ١٦ , ١٧ / ط الأولى / ١٤٠٢ ه , ١٩٨٢ م .

(٢) مرجع سابق

(٣) الإسلام والعلاقات الدولية نقلا عن المرجع السابق ص ١٧ .

٢) ما يتناول صورة معينة من خلال القرآن الكريم.

٣) ما يتناول مصطلحا معينا من خلال القرآن الكريم[١]

التفسير الموضوعي وألوانه عند الشيخ الغزالي:

١- الموضعي: يتناول الآية أو مجموعة من الآيات فيشرح الألفاظ والتراكيب والأحكام

٢- الموضوعي يتناول السورة كلها ويتعرف على الروابط الخفية التي تشدها كلها وتجعل أولها تمهيدا لآخرها

٣- معنى آخر للتفسير الموضوعي:

وهو تتبع المعنى الواحد في طول القرآن وعرضه وحشده في سياق قريب ومعالجة كثير من القضايا على هذا الأساس

فهو يرى ضرورة أن ينظر إلى القرآن نظرة شمولية جامعة لأطرافه وهو هدف التفسير الموضوعي لأن العجز عن نهج هذا المسلك في التعامل مع القرآن هو ما أورث أمة الإسلام هذا التبعيض والتمزق البغيض والتفسير الموضوعي لدى الغزالي أداة لمعالجة أدواء ألمت بالأمة فالنظرة الجزئية للقرآن داء والتفريق للآيات وأخذ جزء منها وترك الآخر داء، واعتماد استلال الجانب التشريعي والتركيز عليه وحده على سبيل المثال دون بعض الآيات وترك جوانب أخرى ضمتها أو احتوت عليها الآيات القرآنية داء آخر.

(١) انظر : خطرات حول التفسير الموضوعي للقرآن الكريم , محاضرة ألقاها الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا .

إضافة إلى التفاتات "تبصرية" منشأها تدارس واع لكتاب الله ومعايشة شغافه.

من هذه الالتفاتات قوله:

[[لقد لفت نظري أن الأحكام الفرعية الجزئية المحدودة تجاورها أسماء الله الحسنى وتختم بها الآيات ختاما يحتاج إلى التدبر العميق ففي سورة البقرة تقرأ قوله تعالى: "لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٢٥) لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلاَقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٧)"[١] ترى هنا أن جواب الشرط في قوله تعالى: "وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلاَقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" أغنى عن المعنى وجئ بصفة من صفات الله تعالى تدل على هذا المعنى " إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ" واضح أن الإخبار عن مسلك إنسانى أسا س فى الإسلام، لما وراءها من سلوك، أستطيع أن أفهم من هذا أن القرآن غذاء روحى مكتمل العناصر.. وكما أتناول على المائدة مجموعة من السكريات والنشويات والدهنيات وما إلى ذلك فى طعام واحد، أو فى أغذية واحدة، فى وجبة واحدة، فكذلك يتقدم القرآن إلينا برسالة حياة شاملة لا تدع جزءا منها إلا وتمتد إليه، ويجرى الوحى الإلهى خلال هذ ا النسق القرآنى كما تجرى الدماء داخل العروق؟ لتشمل الرأس والقدم.. الجهاز يدور فى كل شئ ليعطى الحياة كل شىء، وبذلك نستطيع أن نقول: إن الرؤية القرآنية لا يمكن إلا أ ن تكون حضارة كاملة فأخذه على أنه مجموعة قصص مثلا ودراسة فن القصة على أساس أن القرآن كله قصص لا يمكن أن يكون تصويرا صحيحا للقرآن.. وكذلك الأحكام الفقهية التشريعية، والمعتقدات الإلهية، والآيات التى تأمر بالنظر فى الكون،

(١) سورة البقرة ٢٢٤ - ٢٢٦

وآيات التربية، وما إلى ذلك من تعاليم إسلامية.. هى متماسكة فى عصارة واحدة تجمعها من أولها لآخرها، ومن المستحيل أن أنظر إلى القرآن النظرة الجزئية التى تجعلنى أعيش فى جانب منه وأنسى الجانب الآخر، كما لا يمكن أن يتكون الدم من كريات حمراء فقط، وبيضاء فقط، وبعض العناصر المعدنية فقط التى تسير فى الدم ولا يكون دما إلا بها.. لا يمكن إطلاقا أخذ جانب من القرآن وإهمال الجوانب الأخرى، لأنها جوانب يجر بعضها بعضا، متماسكا. فالنظرة الشاملة هى النظرة الصحيحة للدراسات القرآنية، ولا يمكن الرضى بنظرة جزئية.. والنظرة الجزئية، عندما سادت الفكر الإسلامى، نشأ عنها ما يشبه الجسم المشلول فى بعض أطرافه، أو فى بعض أجهزته مع بقاء أجهزة أخرى حية.. إنه لا يستطيع أن يؤدى وظيفته ما دام الشلل أ والخطر جمد بعض الأجهزة أو بعض الأعضاء.. لابد من النظرة الشمولية للقرآن كله.. وهكذا انطلق القرآن من بدء نزوله حيا تجد: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلاَّ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى (٧)[١] الأمر بالقراءة أولا، وكون القراءة باسم الله، وليست ثقافة مجردة، أو علما للعلم، وإنما هى قراءة باسم الله سبحانه وتعالى، لها هدفها.. الله الذى خلق.. ربط القراءة بتكوين الإنسان من علق، قضية متباعدة الأطراف.. ثم التركيز على هذا: "اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم" .الدخول فى مسألة اقتصادية واجتماعية معا، وهى طغيان الإنسان عندما يترف وينعم ويجبيه المال، ويستكبر به. هذه المعانى المتباعدة فى ظاهرها هى القرآن الذى يكون مائدة متماثلة فى ما ذهب من حقائق الحياة وعناصرها لمن يسمع ولمن ينفذ.. فلابد من هذا الشمول فى النظر؛ والنظرة الجزئية وحدها تكون

(١) سورة القلق آية ١- ٧ .

غير كاملة لأنها انقطعت عن بقية الصورة. العجز عن إدراك المعنى الجامع لعل ذلك إنما حصل، بسبب عدم قدرة النظر على إدراك المعنى الجامع أو الخيط الجامع لهذه المظاهر جميعا.. وربما كان ت النظرة الجزئية بسبب العجز عن التقاط الخيط الذى ينتظم هذه المظاهر جميعا: أهلية التعليم، وهدفية القراءة، وكون الله سبحانه وتعالى هو الخالق الذى خلق هذه المؤهلات التى يجب أن تتوجه إليه، أو تبدأ باسمه القراءة، وإن عدول الإنسان عن الخالق، والالتزام بقيمه الضابطة فى الحياة، وقوع فى الطغيان... الخ. هذا حسن فعلا.. عندما تريد أن ترسم صورة كاملة للإنسان، فهل إذا قطعت هذه الصورة إلى أجزاء، هل كل جزء منها يمكن أن يكون مكونا أو مؤديا أو منبها إلى فكرة الإنسان الكامل؟.. لا يمكن.. لن تكون الإنسانية واضحة ولا حتى جزئية فى جزء من الصور التى أمامك.. لابد من أن أكون ناظرا إلى القرآن كله النظرة الشاملة المتماسكة [١].]]

فلم يكن التفسير الموضوعي في ميزان الشيخ الغزالي لونا من ألوان التفسير للقرآن الكريم فحسب بل إن قيمة التفسير الموضوعي في كونه نظرة شمولية للرؤية القرآنية من جميع أبعادها ومقاصدها بعضا إلى بعض ذلك أن اجتزاء قضية ما من قضايا القرآن ودراستها بمعزل عن سائر قضاياه في نظر شيخنا جور على مقاصده العليا وأهدافه السامية

وهو هنا لا يقف موقف المفسر الذي يتناول الآيات يحللها ويفسرها في وحدة موضوعية كما هو حال الدارسين للموضوع إنما هو يقدم لنا عبر هذه القراءة

(١) كيف نتعامل مع القرآن الكريم في مدارسة الأستاذ عمر عبيد حسنة ص٧١-٧٣/ نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ط ٧ سنة ٢٠٠٥م .

الواعية رؤية تحليلية نقدية حيال التفسير الموضوعي وكيفية توظيفه بطريقة مثلى للوصول بطريقة سليمة وصحيحة لمراد الشارع وفهم مقاصد القرآن

ويرى شيخنا الغزالي أن القرآن الكريم مع استفاضة معانيه، وكثرة سوره، يمكن القول بأنه يدور على محاور خمسة وهي: الله الواحد والكون الدال على خالقه والقصص القرآني والبعث والجزاء والتربية والتشريع. فالتشابه قائم بين آياته، وتكرار المعانى والغايات مأنوس فى سياقه[١] الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد[٢]. من خلال مناقشة مفهومه للتفسير الموضوعي والتأصيل لما يجب أن يكون عليه وماهي منطلقاته إنما هو يساهم في التأسيس لعلم التفسير الموضوعي ويحدد مساره في إطار التفسير للقرآن الكريم ويضع قواعده التي ينبغي أن يبنى عليها، وبغير هذا المسار والرؤية الشاملة والمتعمقة لا يمكن أن نحقق للتفسير أهدافه العالية في توضيح مقصود الشارع أو التعبير عنها بصدق.

وفي ذلك يقول الشيخ رحمه الله في مطلع كتابه نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم: والهدف الذى سعيت إليه أن أقدم تفسيرا موضوعيا لكل سورة من الكتاب العزيز. والتفسير الموضوعى غير التفسير الموضعى: الأخير يتناول الآية أو الطائفة من الآيات فيشرح الألفاظ والتراكيب والأحكام! أما الأول فهو يتناول السورة كلها يحاول رسم "صورة شمسية" لها تتناول أولها وآخرها وتتعرف على الروابط الخفية التى تشدها كلها وتجعل أولها تمهيدا لآخرها

(١) المحاور الخمسة بتصرف واختصار ص ١٨ , ١٩ / ط دار الشروق .

(٢) سورة الزمر آية ٢٣

وآخرها تصديقا لأولها. لقد عنيت عناية شديدة بوحدة الموضوع فى السورة وإن كثرت قضاياها.[١]

* * *

(١) نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم ١/٧ دار الشروق ٢٠٠٦

المبحث الثاني: التفسير العلمي

قال العلامة الشيخ محمد الصادق عرجون: أما الآيات الكونية فقد أكثر القرآن منها جدا حتى قال بعض الباحثين أنها تبلغ أكثر من خمسمائة آية من آيات القرآن. هذا الجانب من القرآن هو الذي يحتاج إلى نظر جديد يقيم منار الهداية القرآنية على دعائم فهم الآيات فهما علميا يقنع العقول بصادق البرهان ويملأ القلوب باليقين ونحن لا نقصد بالفهم العلمي لآيات القرآن تفسيرها بنظريات العلم المستحدثة في الأمور الكونية كما يصنع بعض المتحمسين من المعاصرين.(١)

الإعجاز العلمي في فكر الشيخ محمد الغزالي:

يقول شيخنا الغزالي في الإعجاز العلمي:

[[لا سبيل إلى معرفة الله عن طريق التأمل في ذاته، فإن الوسائل إلى ذلك معدومة، وإنما طريق التعرف على الله يبدأ من التأمل في خلقه. وعن طريق التفكير السلمي فى الحياة والأحياء، واستخلاص المعارف القيمة الخارجة من الأرض أو النازلة من السماء، يمكننا أن ندرك طرفا من عظمة الخالق الأعلى، وما ينبغي أن يوصف به من كمال! كيف يعرف روعة القدرة وإحاطة العلم، ودقة الحكمة، وجلال الموجد الكبير، امرؤ مغلق الذهن، مكفوف البصيرة؟! يمشي على الأرض كما تمشي السائمة لا يستبين من صفحات العالم إلا ما تستبينه الدواب من قوانين الكهرباء أو أسرار الجاذبية أو معالم الجمال أو طبائع العمران؟! إنك تنظر إلى الآلة الدوارة، ذات الترس المتراكبة، والأذرع المتشابكة تتحرك كما أريد لها بسرعة ونظام، وتؤدي العمل المطلوب منها برتابة وإحكام، فما تملك نفسك من أن

(١) انظر : القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين / محمد الصادق إبراهيم عرجون / دار القلم دمشق – الدار الشامية بيروت / ط الثانية (١٤١٠ , ١٩٨٩ م).

تشهد بحدة الذكاء للذي اخترعها، ومهارة اليد التي قدرتها ثم سيرتها. ونحن كذلك ننظر إلى ما بين أيدينا وما خلفنا، وما فوقنا وما تحتنا، فما نملك أنفسنا من الشهادة لله الذي أبرز ذلك كله من العدم بأنه خلق فسوى، وقدر فهدى. وكلما زادت معرفتنا بمادة الوجود وسره، وانكشفت لنا آياته وخباياه أحسسنا أن عظمة المبدع الماجد فوق ما يطيقه وعينا المحدود، وأن التحية التي تقدم لهذا الإله الجليل هي الاعتراف بأن مظاهر وجوده بهرت كما يبهر السنا المتألق عيون الناظرين!! إن درسا في الطبيعة والكيمياء هو صلاة خاشعة. وإن سياحة في علم الأفلاك هي تسبيح وتحميد. وإن جولة في الحقول الناضرة، والحدائق الزاهرة، أو جولة مثلها في المصانع الطافحة بالحركة المائجة بالوقود والإنتاج.. هي صلة حسنة بالله، ذلك لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.(١)]]

وشيخنا الغزالي لا يوافق على التوسع بلا حدود في موضوع الإعجاز العلمي للقرآن الكريم اذا لم يكن العلم بمعناه المدرسي موضوع القرآن، وإنما كان موضوعه الإنسان وهدايته.. فالقرآن محله الإنسان، والعلم هو الموقع الذى ينظر الإنسان إليه ويكسبه بهداية الله(٢)

موقف الغزالي من الإعجاز العلمي:

نستعرض أولا نصين مهمين لشيخنا الغزالي رحمه الله يكشفان عن هذا الموقف بجلاء، سجلهما في محاورته مع الأستاذ عمر عبيد حسنة التي خرجت باسم كيف نتعامل مع القرآن؟

(١) نظرات في القرآن / ص ١٠٩ .

(٢) كيف نتعامل مع القرآن الكريم ٢٠٨

يقول الشيخ الغزالي:

[[لقد شاع فى الآونة الأخيرة مصطلح: " الإعجاز العلمى فى القرآن " إلى درجة إنشاء مؤسسات للإعجاز العلمى فى القرآن والسنة، حتى وصل الأمر عند بعضهم إلى محاولة تحميل الآيات ما لا تحتمل من النظريات والاكتشافات العلمية، ومن الأمور المعروفة: أن العلم وصل إلى آفاق وأبعاد متقدمة جدا جدا.. وأن الإعجاز يعنى استمرارية المعجزة وخلودها، لأن خلود المعجزة ثمرة لخلود الإسلام.. والقول بالإعجاز العلمى فى القرآن، قول يحمل الكثير من المخاطر والمجازفات إذا نظرنا لبعض الإشارات العلمية التى وردت فى القرآن بمقابل ما وصل إليه العلم الحديث. فالكلام عن مراحل الخلق، وتطور الأجنة، وما إلى ذلك مما أثبته العلم بعد آماد، لاشك أنه يدل دلالة واضحة على أن القرآن الذي أخبر بهذا ضمن الظروف العلمية السائدة، هو من عند الله.. ولكن أن يصل الأمر إلى تسميته إعجازا، أظن أن ذلك يحمل كثيرا من المجازفة كما أسلفنا وقد يكون التعبير الأمثل عن ذلك أنه من دلائل النبوة. ولا شك أن القرآن لفت نظر الإنسان إلى الحقائق العلمية أيضا، ووضع الإنسان فى المناخ العلمى، حيث حثه على التأمل، والنظر، والاختبار، وملاحظة اضطراد القوانين والسنن، ليبتكر ويكتشف، ويخترع، ويسخر. أما أن يسمى ذلك إعجازا علميا، بمعنى استمرار الإعجاز وخلوده، فتلك قضية غير دقيقة وإن كان معجزا فى وقته، خاصة وأن محل القرآن هو الإنسان ابتداء، والارتقاء به.. ومجال الإنسانية والعلم، والكشف والاختراع لأداء الاستخلاف الإنسانى، وعمارة الأرض بالعلم.

يعجب الإنسان مما اكتشف أخيرا.. فنحن فى الطائرة، مثلا، نشعر وكأننا نمر بجبال، قد نرى صور السحب أمامنا وكأنها الجبال التى نراها من بعيد على ظهر الأرض على شكل سلاسل فى الصحراء وانفراد القرآن بهذا الوصف قبل أن

يتمكن أحد من الصعود عشر كيلو مترات فى الجو، ويتعرف على ما فيه، لاشك هذا نوع من الإعجاز. قبل أن يكون هناك تصوير بالأشعة وقبل أن يكون هناك علم تشريح، أمكن معرفة أطوار التخلق البشري ونمو الجنين. والمراحل التى ذكرها القرآن وتفرد بها، ولم تعرف فى كتاب لا دينى ولا مدنى فى الأيام السابقة، وجاء العلم فوثقها وكملها.. هذا، من دون شك،يدل على الإعجاز.. ما هو الإعجاز؟ الإعجاز هو أن يعجز الإنسان عن الإتيان بمثل هذا.. هم عجزوا عن الإتيان بآيات تدانيه.. الخلود يعنى عجز البشر عن الوصول إلى ما وصل إليه القرآن من الإشارة للحقائق والقوانين العلمية وما إلى ذلك، إذا سلمنا بأن هناك شيئا من الإعجاز العلمى.. لكن العلم الآن، وقد وصل إلى ما وصل إليه، أثبت ما وصل إليه، وأصبح ما أثبته القرآن غير معجز لعالم اليوم.. لقد استطاع العلم كشف آفاق تجاوزت ما ورد من إشارات علمية فى القرآن، لأن ما جاء به القرآن كان معجزا فى عصر معين، ولا يمكن أن نحكم بإعجازه إلا من خلال ذلك العصر. أما اليوم، فقد تجاوز العلم تلك الآفاق مما قد يدفعنا إلى القول: بأن هذه الآيات ليست معجزة لعالم اليوم، وأنه كانت معجزة لعالم الأمس.. والقرآن معجزة لها صفة الخلود، فلماذا لا نقول: إن هذا من دلائل النبوة؟ وقد يكون من المفيد،التفريق بين دلائل النبوة والإعجاز.. الإعجاز هو: الأمر الذى لا يستطيع الناس الإتيان بمثله، فهو أمر خارق للعادة يعجز الناس عن الإتيان بمثله فى كل العصور.. كونهم الآن عرفوا تطور الأجنة، ووصلوا إلى ما هو أبعد من ذلك فى هذا الأمر، وكون القرآن ذكر فى فترة ماضية، لم يكن العلم، ولم تكن الوسائل مؤهلة لإعطاء الإنسان هذه المعلومة، فذلك لا يعنى إبطال الإعجاز. الإعجاز فى أنى استطعت بنظر غير طبيعى أن أعرف ما هنالك.. فإذا كان الناس قد وصلوا من بعد إلى هنالك، وعرفوا، بقى لى حق تاريخى. خلود المعجزة يعنى:

استمرارية العجز عن الإتيان بمثلها.. فلو جاء فى عصر من العصور من استطاع أن يأتى، ولو جدلا أو فرضا، بمثل القرآن الكريم، أو بمثل آيات منه، لبطل خلود الإعجاز؟ الخلود يعنى الاستمرارية.. والاستمرارية فى أنى، مثلا، استطعت أن أصل بالطائرة ما بين فلسطين ومكة، فى ربع ساعة مثلا، هل هذا يعنى أن الإسراء ليس معجزة؟ لا.. يعنى: أن الإسراء معجزة مادية حدثت فى زمن معين.. لكن الإسراء لم يعتبر المعجزة الخالدة.

المعجزة الخالدة هى القرآن.. معنى إعجاز القرآن العلمى: أنه اكتشف كنه شىء ما كان الناس لا يستطيعون أبدا أن يعرفوه فى حينه.. كون، بعد قرون، عرف أن ما اكتشفه القرآن حق، فهذا دليل صدقه.. أنا أقول بذلك. أقول إنه دليل صدقه، ودليل نبوة الرسول عليه الصلاة والسلام ودليل مصداقية القرآن.. أما تسميته "إعجازا"، فهذا الذى أتوقف عنده، لأنى أرى ذلك يتعارض مع خلود المعجزة.. القرآن هو المعجزة الخالدة.. وإلى الآن لم يستطع أحد أن يأتى بمثله.. والخلاف بينى وبينك حول التسمية "بالإعجاز" خلاف لفظى، ليس له قيمة كبيرة.. والقرآن ليس كتاب تاريخ، بمعنى أنه لا يحدد مكان الميلاد ولا زمان المواليد بدقة، ولا يذكر تفاصيل الوقائع التى يعنى التاريخ دائما بذكرها، لكنه فى نطاق ما يفيد العبرة يذكر الوقائع فى قصص الأولين.. فلولا كتب التاريخ لما عرفت أن عا دا تقع فى جنوب جزيرة العرب، إذ القرآن لم يذكر المكان والزمان اللذان وقعت فيهما قصة قوم عاد، كل ما هناك خصال البشر التى يريد القرآن تهذيبها من غرور وكبرياء وتطاول على الآخرين وجبروت.. الخ هذا هو الذى يهم القرآن.. هناك بعض الناس يأتى إلى الطب النبوى ويقول لك: "الطب النبوى" ..وأنالا أستطيع أن أقول أن هناك طبا نبويا وطبا غير نبوى. بعض الناس يمكن أن يضع

ذلك فى طور الإعجاز أيضا.. الطب كما يقول ابن خلدون أو غيره من المسائل العادية، أو من الصناعات..

والصناعة لا علاقة لها بالعبادة.. وليس القرآن مصدرا لدراسة الطب، وأنه كتاب طب.. وأنكر "الشاطبى" فى كتابه: " الموافقات " الإعجاز العلمى.. وتكلم فى هذا، وقال عن الشريعة: إنها أمية! ونقده الشيخ "ابن عاشور" فى تفسيره، وقال: إن هذا الكلام مرفوض.. الشريعة ليست أمية، ولكنها إنسانية وراقية جدا.. يكفينى أنه منذ خمسة عشر قرنا، أن القرآن تكلم عن أبعاد الكون، وقال عن النجوم: "فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم"(١) فالمنزل هنا، من غير شك، هو الذى تكلم هذا الكلام.. الآن، أبعاد الكون، والأرقام الفلكية، تعجز الخيال.. أنا اعتبرت أن كون عيسى عليه السلام شفى مريضا، فذلك من الإعجاز.. وكون هذا المريض يشفى بالعلاج بأدوية الآن، فهذا لا يبطل إعجاز عيسى عليه السلام. هذا صحيح.. لكن نحن نقول بأن المعجزة نوعان: معجزة مجردة، مستمرة، ودائمة، وغير مرتبطة بأشخاص الأنبياء.. خالدة مجردة عن حدود الزمان والمكان سيبقى الناس عاجزين عن الإتيان بمثلها حتى يوم القيامة، وهى القرآن.. ومعجزة مجسدة مادية مرتبطة بأشخاص الأنبياء وجدت بوجودهم وانتهت بوفاتهم والرسول عليه الصلاة والسلام له معجزات مادية مثل: الإسراء، نبع الماء.. الخ. ما فى هذا شك.. لكن قصة مثل هزيمة الرومان، وكانت هزيمة ساحقة، فهذا من غير شك تنبؤ يدل على شىء غير عادى.. فالقرآن، دخل فى مجازفة خطيرة، تقول الآية: "وهم من بعد غلبهم سيغلبون"(٢) ويحدد: "في بضع سنين لله"(٣) ثم يتم مما كان:

---

(١) سورة الواقعة آية ٧٥-٧٦ .

(٢) سورة الروم آية ٣ .

(٣) سورة الروم آية ٤ .

"ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله"[١] وقد جاءت القصة مع نصر الله للمؤمنين فى بدر، وهذا كشف عن جانب غيبى هو من غير شك معجزة قرآنية، باقية لقيام الساعة.. أن يحدث القرآن عن شىء أنه سيقع قبل أن يتبين أى شىء، فيقع.. فتلك معجزة.. وفى آية: لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق إخبار عن شىء سيقع ووقع فعلا.]][٢]

ويقول في موضع تال:

[[وهناك بعض الحقائق العلمية التى أشار إليها القرآن للفت النظر إليها، ودفع الناس إلى النظر والبحث والتجربة والملاحظة والكشف عن القوانين والسنن، وكيف يمكن الوصول إلى إدراك قوانين التسخير التى تحقق عمارة الأرض، وتمكن من القيام بأعباء الاستخلاف.

ويبدو لى – والله أعلم – أن قدرة القرآن على العطاء حتى نهاية الزمن، إنما جاءت من كونه ليس كتابا علميا.. ذلك أن العلم بالمعنى الدقيق للعلم التجريبى فى تقدم وتطور، ويبطل نظريات، ويثبت حقائق.. وهذه مهمة الإنسان.. أما القرآن فمهمته: بناء الإنسان، وتجهيزه بالوسائل التى تعينه على الكشف العلمى من: الحواس، والعقل، والإدراك، ووضعه فى المناخ العلمى الذى يدفعه للاكتشاف.. لذلك لا نجد تعارضا بين الحقائق العلمية ومدلولات الآيات.. أما إذا أطلقنا العنان لمن يقول: بالتفسير العلمى، والتعسف بالتفسير العلمى، فسيثبت من العلم ما يبطل هذه التفسيرات، أو هذه الإعجازات التى توهمها بعضهم، أو حمل عليها الآيات فى عصر معين.

(١) سورة الروم آية ٥ .

(٢) كيف نتعامل مع القرآن ١٣٤

لنتفق أولا على أن القرآن ليس كتابا فنيا فى علم من العلوم، فهو كتاب فى هداية الإنسان، ولكن كلامه عن الكون والإنسان، يتفق مع العلم، لأن موضوع العلم هو الكون والإنسان.. فوحدة الموضوع متحققة بين القرآن والعلم.[١]]]

وبنظرة تحليلية لهذا البيان الغزالي الرائق، نجد أن الشيخ غير رافض لاستخراج ما جاء في القرآن الكريم من آيات الله تعالى في الكون، سواء كان الخطاب القرآني تصريحيا أو إشاريا، إنما يفرق الشيخ رحمه الله بين الإعجاز بمفهومه الذي يحمل صفة الخلود، وبين دلائل النبوة التي قد تكون وقتية كما قد تكون مكانية. فيرى الشيخ أن إشارات القرآن الكريم لما اكتشفه العلم الحديث أمر زماني مؤقت، كما يرى أن الخوارق التي وقعت في زمن الوحي مما صار معتادا اليوم أمر زماني كذلك. فما اكتشفه العلم الحديث مما تكلم القرآن عنه كمراحل الأجنة مؤقت بزمن اكتشافه ومطابقته لنص القرآن، وما وقع خارقا في الزمن الماضي وصار اليوم معتادا هو مؤقت بالزمن الماضي.

وأما موقف شيخنا الرافض لتسمية التفسير والإعجاز العلمي فله ما يبرره من خوف تجاوز العلم لما وردت به إشارات القرآن وعندها لا يعد ذلك معجزة، والذي أراه أنه إذا كان ما ذكر في القرآن سابقا عن عصر اكتشافه والعلم به، فهو إعجاز علمي كمعرفة مراحل تكوين الجنين التي سبقت بها إشارة القرآن في عصر التقدم في الطب إضافة إلى أنه لفت نظر الجاحدين والمشركين والكفار إلى عظمة هذا الدين وعظمة الرسول الذي بلغه وهو "الأمي"

ونحن نتفق مع الشيخ الغزالي أن القرآن الكريم ليس كتابا علميا في أي مجال من مجالات العلوم التي يصطلح عليها البشر لكن هذا لا يمنع أن يكون القرآن قد

(١) كيف نتعامل مع القرآن الكريم / ص ٢٠٣

اشتمل على إشارات وعلى بعض الآيات القرآنية التي أمسكت بطرف من هذه العلوم وأصابت كبد الحقيقة مما شكل سبقا زمانيا أو علميا سواء في ظواهر الكون أو في العلوم التجريبية كشف لنا القرآن طرفا منها أو أجاب عن تساؤل كان مثار جدل بين العلماء فما يمكن أن يسمى ذلك؟

ربما كان مصطلح "تفسير علمي" أو "إعجاز علمي" هو مثار الرفض لكن حقيقة الأمر أن هناك أمورا وإشارات ذكرها القرآن تدخل ضمن هذا الباب وربما إلى الآن لم توجد لها تسمية ربما أكثر وضوحا على أن هذا الأمر لا ينفي عنها صفة الإعجاز.

إن القرآن ليس كتاب علوم ولكنه أشار إلى ذلك ولا نستطيع أن ننفي صفة الإعجاز عما تم التوصل إليه خلال القرآن لا لشيء إلا لأنه من هذا الكتاب المعجز بكل ما فيه.

ربما كان من حق شيخنا رفض هذه المسميات وفي مسيرته التنويرية كنا نتوقع أن يعطينا المسمى البديل ويسير في خطتها التي وضعها وهي التأصيل والتحقيق العلمي ووضع قواعد لهذا العلم أو ذاك وبحسب علمي القاضي أن أولى أولويات ذلك في مجال التفسير العلمي والإعجاز العلمي أن لا نحمل الإنجازات العلمية على القرآن.

وقد سبق العلامة محمد الصادق عرجون شيخنا الغزالي في الرد على الشاطبي وفي بيان حدود الإعجاز العلمي فقال: وموقف الشاطبي في هذه القضية متهافت لا يقوم على دعائم من الأصول القوية التي تسنده إذ لا دخل أبدا لأمية النبي – صلى الله عليه وسلم – التي فسرها العلماء بأنه – صلى الله عليه وسلم – كان لا يكتب ولا يقرأ وأنه لم يجلس إلى العلماء لمدارسة العلم عن الكتب

والصحف كما يشير إلى ذلك ما ساقه الشاطبي نفسه في أدلته من نحو قوله تعالى: (فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته)[١]. وقوله تعالى: (وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لأرتاب المبطلون)[٢].

ويسوق الشاطبي دليلا عقليا على مدعاه وهذا الدليل عند التأمل عليه لا له [٣] وقضية موقف القرآن العظيم من العلم قديمه وحديثه ونظرياته وفنونه وأصوله وفروعه وقضاياه ومسائله يجب أن لا ننظر إليها بهذه النظرة التي ذهب إليها المتحمسون الذين جعلوا القرآن كتابا يحتوي على مسائل العلوم الطبيعية والنظريات التجريبية والحرف والصناعات ومما ذكروا، كما يجبوا أن لا ينظر إليها بهذه النظرة التي تقف بالقرآن في هدايته ومعانيه عند معهود العرب الأميين وإنما يجب أن يجري النظر فيها على أساس أن القرآن كتاب هداية ودعوة إلى الله الواحد الأحد الخالق المبدع القادر الحكيم الذي أحاط بكل شيء علما وأنه أنزل شريعة خاتمة للشرائع الإلهية وقد إقتضت دعوة القرآن وهدايته أن تكون حجته عقلية تقوم على النظر في الكون وآياته في الأنفس والآفاق وبيان ما فيها من آثار [٤].

ويمكن أن نجد فى الأحاديث مثل ذلك: ستفتحون مصر [٥] وهذا وقع[٦].

---

(١) سورة الأعراف آية ١٥٨

(٢) سورة العنكبوت آية ٤٨ .

(٣) انظر القرآن الكريم هدايته وإعجازه ص ٢٧٠

(٤) المرجع السابق ص ٢٧٣ , ٢٧٤ بتصرف واختصار

(٥) رواه مسلم صحيح مسلم بشرح النووي ج١٦ / ص ٩٦-٩٧ / دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ط الثالثة .

(٦) كيف نتعامل مع القرآن (ص ١٣٨ – ١٤٢) .

ولعل الشيخ الغزالي يلتقي في الهدف الذي يسعى له المتحمسون للتفسير العلمي والإعجاز العلمي كما يسميهم وهي أن هداية القرآن وإشاراته تقوم على النظر في كتاب الكون والتأمل في كتاب العلم والأنفس والآفاق وهي هدف عند الغزالي وهو هدف عند المتحمسين للتفسير العلمي والإعجاز العلمي إذن الغاية واحدة ولكن الاختلاف في طريقة المعالجة والاصطلاح إذ لا يمكن لأي متأمل في آي القرآن وموضوعاته المتعددة أن يتجاهل هذه الإشارات بل التصريحات من خلال قوله تعالى "سنريهم آياتنا في الآفاق"

يضاف إلى ما تقدم من قول الشيخ محمد الصادق عرجون أن الآيات الكونية كما جاء على لسان بعض الباحثين أنها تبلغ أكثر من خمسمئة آية من آيات القرآن

وقوله هذا الجانب من القرآن هو الذي يحتاج إلى نظر يقيم منار الهداية القرآنية ثم إن التفسير الموضوعي والذي هو موضوع اهتمام وعناية الشيخ الغزالي في أحد أقسامه وهو تتبع الموضوع أو الكلمة لا يمكن أن تتجاهل موضوع العلم في القرآن بألوانه المختلفة

على أن الشيخ أيضا هو ابن بيئة وثقافة عصره التي نشأ فيها الكثير من علماء عصره كانوا يرفضون هذا الاتجاه وعلى رأسهم السيد محمد رشيد رضا والشيخ محمود شلتوت والشيخ أمين الخولي والشيخ محمد مصطفى المراغي وأخيرا د.محمد حسين الذهبي

إن وجه إعجاز القرآن في العصر الحديث الذي نعيشه وفي مستقبل الأيام القادمة هو إبراز ما يمكن في معطياته التي لا تتنافى مع العلم معهما حدث وتطور إضافة إلى أنني لا أستطيع أن أدعو من أدعو إلى الدين الإسلام في

عصر العلم ولغة الاكتشافات العلمية بلغة القرآن ولا ببلاغته ولا بإعجازه التشريعي وحده إنما حتما أكسب لو دعوت من خلال إعجازه العلمي وهو لغة العصر التي بالتأكيد انحاز لها والمكتسبات في هذا كثيرة ومتعددة، مع بقاء أوجه إعجازه الأخرى لأهلها ولمن يريد الوقوف عليها وهي حية باقية بقاء الحياة.

* * *

المبحث الثالث: التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي:

قال العلامة الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني التفسير المأثور هو ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة بيانا لمراد الله تعالى من كتابه [١]

والتفسير بالرأي الاجتهاد فإن كان الاجتهاد موفقا أي مستندا إلى ما يجب الاستناد إليه بعيدا عن الجهالة والضلالة فالتفسير به محمود وإلا فمذموم [٢]

وتكلم شيخنا الغزالي عن أهمية التفسير بالرأي. وعن ضوابطه ؟ فقال:

التفسير بالرأى نوع من التفاسير، كالتفسير الأثرى، والفقهى، والكلامى، والبيانى، والصوفى، والعلمى.. ولعل التفسير الذى بدأ به الشيخ رشيد رضا نوع من التفسير الذى يجمع أنواعا من الآراء.. فهو مدرسة متعددة المناهج فى فهم القرآن.. فأنا أرى أن التفسير بالرأى لم يتوقف، بل بالعكس، فقد طغى التفسير بالرأى على التفسير الأثرى، وهناك عدد كبير من الناس يرى أن الاقتصار على التفسير الأثرى يقيد الآيات. التفسير الأثرى لا يعرض للمشكلات البلاغية والمشاكل الكلامية، وهناك أمور كثيرة لا يتوقف عندها.. بينم التفاسير الأخرى هى التى دخلت بالقرآن إلى الحياة ومشكلاتها.

وأكاد أقول: إن التفسير الأثرى أخضع الآيات للأحاديث. وهذا قد يكون طبيعيا فى الأسانيد الصحيحة، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو المبين عن ربه. لكن المشكلة: أن بعض الأحاديث التى جاءت فى التفسير بالمأثور، تكون ضعيفة السند.. وهذا، أيضا، فى تفسير ابن كثير الذى نجد فيه بعضا من المتضادات..

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن / ج١/ ص٣٤٠ / دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ط الثانية .

(٢) المرجع السابق بتصرف يسير ص ٣٦٦ .

فعندما يفسر قوله تعالى: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم[١] يأتى بمتناقضات.. يأتى بحديث ضعيف وخفيف الوزن.. ويأتى بأحاديث أخرى تدل على أن الكحل فى العين والحمرة فى الخد، لا بأس بهما ولا مانع منهما.. فهو تفسير غير محقق، أو تفسير يحتاج إلى ضوابط وإلى تحقيق فى صحة الآثار وتفنيدها. ويؤسفنى أن أقول:

إن بعض التفاسير بالأثر، بلغ أحيانا درجة من الإسفاف، فمثلا: ذكر قصة الغرانيق، وذكر قصة زينب بنت جحش على النحو الذى ذكر.. التفسير الأثرى يحتاج رقابة دقيقة عليه..[٢]

وفي هذا الشأن يسير الغزالي في ركاب مدرسة الشيخ رضيد رضا إزاء التعامل الحذر مع بعض روايات المأثور وقد وقف الشيخ رضا طويلا أمام نقد روايات المأثور مخافة اختلاطها بالإسرائيليات[٣]

وفي هذا الأمر يقول رشيد رضا: "... أن أكثر ما روى في التفسير المأثور أو كثيره حجاب على القرآن وشاغل لتاليه عن مقاصده العالية المزكية للأنفس المنورة للعقول فالمفضلون للتفسير المأثور لهم شاغل عن مقاصد القرآن بكثرة الروايات التي لا قيمة لها سندا ولا موضوعا كما أن المفضلين لسائر التفاسير لهم صوارف أخرى عنه [٤]

---

(١) سورة النور آية ٣٠ .

(٢) كيف نتعامل مع القرآن ص ١٨٩

(٣) انظر تفسير المنار – محمد رشيد رضا – دار المعرفة بيروت الطبعة الثانية من ص ٧ إلى ص ١٠ جزء ١

(٤) المرجع السابق ١٠/١

أما التفسير بالرأى، حيث يكون الرأى بيانيا أو علميا، أو لغويا، أو ما إلى ذلك، فإنه يأتى ثمرة للنظر والتدبر فى القرآن.. والتدبر يعنى: رأيا، ويعنى: فكرا واستنتاجا والقرآن كتاب عربى، يخضع للأساليب العربية فى الفهم، ولا نسمح إذا بالشطحات.. لابد أن تبقى الكلمة هى الكلمة.. لابد أن يفهم القرآن من خلال معهود العرب فى الخطاب، ومن دلالات الألفاظ كما كانت عند العرب. فكما تشرح أى قصيدة شعرية: الكلمات، والمجاز،والاستعارة، والتشبيه، والكناية، كل هذا يبقى فى نطاق الاصطلاحات العربية لا نخرج عليها،فمعنى أن القرآن عربى: هو أنه يخضع للفهم بالأسلوب العربى[١]

ثم قال شيخنا الغزالي عن ضوابط التفسير بالرأي:

هنا مجموعة من الضوابط التى رأيتها للتفسير بالرأى:

الضابط الأول: الالتزام بفهم القرآن من خلال معهود العرب فى الخطاب.

الضابط الثانى: استصحاب الصحيح من المأثور ليكون وسيلة معينة على الفهم، وضابطا من خطرات القلوب ومجازفات الهوى.

الضابط الثالث: التعرف على أسباب النزول لتكونَ وسائل إيضاح معينة لتعدد الرؤية وتنزيل النص على الواقع المعاش.

الضابط الرابع: عدم الخروج على قواعد المنطق والعقل السليم، أو ما تقتضيه الفطر الصحيحة، ودلالة الألفاظ، والصيغ.

(١) كيف نتعامل مع القرآن (ص١٩٧ – ١٩٩)

الضابط الخامس: عدم الخروج بالتفكير أو بالرأى عن المقاصد العامة التى حددت فى القرآن على أنها مسلمات.

الضابط السادس: الاستفادة من الكسب العلمى، والحقائق المعرفية فى ميادين الحياة الاجتماعية وغيرها والتى أصبحت حقائق أثناء النظر للآيات، وفى الوقت نفسه جعل الآية قيمة عامة موجهة لحركة النظر والفكر.. فالعملية هنا مزدوجة؟ إذ ليس الكسب البشرى والمعارف هى التى تتحكم بالآية.. إنها تساعد على فهم الآية، فى الوقت الذى تبقى فيه للآية قيمة التوجيه، وتحديد الهدف والمقصد من العلم.[١]

فالشيخ الغزالي في هذا المبحث أو عند تناول قضية المقارنة بين التفسير بالرأي والتفسير بالمأثور يسير في ركاب مدرسة السيد محمد رضيد رضا ففي العصر الحديث التي استطاعت أن تبلور الكثير من القضايا الهدائية نائية بمنأى عن مدرسة التفسير بالمأثور إلى حد كبير.

وقد أصاب شيخنا في المآخذ التي رآها في التفسير بالمأثور خاصة جانب اعتماد الروايات الضعيفة ضاربا المثل بابن كثير في هذا الشأن خاصة إضافة إلى محدودية قضاياه غير أن هذا التوجه لا يعني إلغاء الجانب الأثري أو استبعاده فهو الأصل والقاعدة التي ينطلق منها المفسر مع الأخذ بأواصر التحري والضبط والدقة. وهو هنا ابن عصره وبيئته التي تولي اهتماما كبيرا للتفسير العقلي والتفسير بالرأي وهو ذات الرأي الذي قال به ابن عاشور في ذات القضية ذلك أن الولع بالنقل في التفسير (بقصد المأثور) في حين يقول السلف أنه لا

(١ كيف نتعامل مع القرآن ص١٩١

تنقضي عجائبه ولا تنفد معانيه كما ساد اتقاء الرأي لتوهم الخروج عن المدلولات السليمة والصحيحة للقرآن[١]

إضافة إلى ذلك هو لا يخرج من الموضوع إلا بوضع قواعد وأساسيات تحتم علينا طريقة التعامل مع التفسير بالرأي وكيفية التزامه وتطبيقه بصورة تنأى بنا عن الانحراف إلى الرأي المذموم.

* * *

(١) ابن عاشور التحرير والتنوير المقدمة الثانية

المبحث الرابع: المدارس القرآنية الحديثة (مناهج المفسرين):

لم يتوقف الغزالي عند مناهج المفسرين ومدارسهم التفسيرية المختلفة إنما كانت هناك حاجات في النفس وجهها الغزالي إلى كل مدرسة على حدة كأنها برقيات موجزة لمن يهمه الأمر أو هو رأيه في هذا الشأن دون أن يرجح منهجا على آخر أو يطري مدرسة على حساب الأخرى منبها وموضحا إلى تصحيح مسار انحرف عن جادته في هذا المنهج أو ذاك، وفي ذلك يقول:

[[يمكن حصر الثقافة القرآنية الآن في عدد من المدارس

١- فهناك مدرسة الأثريين أو أصحاب التفسير بالمأثور وهي مدرسة يمثلها الآن ابن كثير وتفسيره شائع وإن كان ابن جرير الطبري أرقى منه وتفسيره أدق]]

مآخذ الغزالي على أصحاب التفسير بالمأثور في مسلكهم التفسيري:

[[والذي يعيب هذه المدرسة في نظري أنها: ربطت تفسير الآيات بأحاديث أغلبها ضعيف فكانت مصيدة حالت دون انطلاق الفكر القرآني إلى أهدافه الشاملة في التفسير ووسيلة إلى شيوع الأحاديث الضعيفة التى بنى عليها المحدثون فكرهم القرآنى.. وعندما وضع سيد قطب رحمه ا لله مؤلفه "فى ظلال القرآن"، اعتمد على تفسير ابن كثير فى النصوص، وترك ما وراء هذا على قدرته الأدبية على الصياغة، وعلى أن يسبح مع الأفكار الجديدة.

٢- هناك التفسير الفقهى للقرآن، وهو تفسير طوع الآيات لأحكام الفقهاء وطريقتهم فى الاستنباط، ولم يهتم إلا بآيات الأحكام التشريعية، واقتصر

فى ذلك على الحكم الشرعى دون المقاصد الأخرى، وهذا فيه شىء يستدعى الاستدراك.

٣- وهناك التفسير الكلامى، وأنموذجه "الرازى" مثلا فى "التفسير الكبير"، وهو تفسير ينبغى أن نأخذ منه بطرف وندع أطرافا أخرى لأنها خرجت بالتفسير عن مجاله.

٤- وهناك التفسير البيانى، وهو مثل تفسير "الزمخشرى" وأبو السعود والبيضاوى.

وقد رأيت عددا من المفسرين إلى جانب مفسرين آخرين من مدارس أخرى، كانوا بلاء على الأمة الإسلامية، على الرغم من أنهم خدموا البلاغة العربية، وخدموا التفسير البيانى للقرآن أجل خدمة.. لكن حملت تفاسيرهم، إلى جانب ذلك، إساءات كبيرة للفكر القرآنى.. أنا أسأل نفسى: من الذى أشاع قصة زينب بنت جحش، إنهم مفسرون من هذا النوع.. فالقصة قصة خرافية لا أصل لها.. وهناك قصة مثل قصة الغرانيق، وقع فيها بعض المفسرين عن غفلة. مثل ابن حجر، وغيرهم.

وهناك مدارس أخرى وكل مدرسة من هذه المدارس لها خير وعليها مأخذ.. ولا يجوز أن نجحد فضل صاحب الفضل[1]]]

والشيخ الغزالي إذ يذكر قصة زينب بنت جحش على أنها خرافة إضافة إلى قصة الغرانيق لم يتوقف لديها بإثبات أو نفي أو تعليل أو تدليل على صحة ما ذهب إليه وهو ينعي باللائمة في هذا المجال على المسار المنهجي واضطراب

(١) كيف نتعامل مع القرآن ص ٣٨ - ٤١ .

النقل دون تمحيصه أو تحقيقه وارتجال التطبيق في هذا النوع من التفسير لدى البعض وإن كان بقصد اعتماد الروايات الضعيفة على وجه الخصوص ومثله في هذا مثل السيد رشيد رضا الذي قال: وأكثر التفسير المأثور قد سرى إلى الرواة من زنادقة اليهود والفرس ومسلمة أهل الكتاب كما قال الحافظ ابن كثير[1]

* * *

(١) المنار: ٨/١

المبحث الخامس: ترجمة معاني القرآن

في منتصف النصف الأول من القرن العشرين عندما أثيرت مسألة ترجمة القرآن الكريم على نطاق واسع اتجه الأزهر اتجاها قويا إلى بحثه وانتهى الأمر بعد طول النقاش والحوار إلى أن قررت مشيخته الجليلة ترجمة تفسيره وتألفت بالفعل لجنة من خيرة علمائه ورجالات وزارة المعارف (التربية والتعليم) لوضع تفسير عربي دقيق للقرآن تمهيدا لترجمته ترجمة دقيقة بواسطة لجنة فنية مختارة[١] وفى هذا السياق يقول شيخنا الغزالي فى ترجمة معانى القرآن قد يعنينا من هنا نقطتان:

كون القرآن عربيا، بمعنى أنه يفهم من خلال معهود العرب فى الخطاب.. لكن هذا يقتضينا العودة إلى قوله تعالى "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم"[٢] والرسالة جاءت عامة للناس جميعا.. والأقوام الأخرى لا تعرف العربية.. ولابد من قراءة القرآن بالعربية، وفهمه من خلال معهود العرب فى الخطاب كما أسلفنا.. فكيف يمكن أن نوفق بين الآية: " بلسان قومه " وعموم الرسالة؟ ونقطة أخرى فى التلقى، والبيان، والفهم والتعامل مع النص القرآنى: ماذا عن ترجمة القرآن؟ وما علاقة التفكير بالتعبير؟ وكيف يمكن أن يكون التفكير إسلاميا، وأن يكون التعبير بأى لغة غير العربية؟ وهل يمكن إدراك أبعاد الفكر القرآنى وتمثله فعلا من غير اللغة العربية؟ هناك الآن دعوة خطيرة وهى: التفريق بين لغة العلم ولغة الدين.. هناك لون من التآمر على القرآن لإزاحة اللغة العربية، وذلك باعتمادها لغة الدين.. أما العلم فلابد أن يكون بلغة أخرى !

(١) انظر مناهل العرفان ج٢ / ص ٤٥٦ .

(٢) سورة إبراهيم آية ٤

بمعنى: أن تكون هناك لغة للمعبد وهى العربية، ولغة للمعهد العلمي وهي الإنجليزية أ والفرنسية، أو ما إلى ذلك.. وهذه قضية خطيرة جدا.. وشيئا فشيئا، سوف تنفصل العربية عن الحياة، ويحاصر عالم الدين نفسه فى المسجد ليكون بعيدا عن أى استعداد لاستيعاب العصر.. وسوف يكون انقطاع عن التواصل اللغوى، وإدراك الميراث الثقافى، والتفاهم مع القرآن بالنسبة للأجيال القادمة.. فالقضية ذات أبعاد متعددة وخطيرة.. اتفق علماؤنا على أن النظم العربى جزء من النص القرآنى.. جزء من الوحى.. ولا يمكن أن يسمى وحيا أبدا لو ترجم القرآن إلى لغة أخرى، مهما كانت الترجمة دقيقة، ومهما كان وفاؤها بالمعاني.. يستحيل أن يسمى هذا المنظوم قرآنا.. يسمى: معانى القرآن، يسمى تفسير القرآن باللغة الإنجليزية أو الفرنسية.. الخ، لكن القرآن لا يكون

إلا عربيا. عالمية القرآن تأتى بطريق ترجمة المعانى والأهداف للناس.. وما حاجة الناس إلى أن يترجم لهم القرآن كله، ناقصا المعانى التى لا يمكن أن تلحظ إلا فى الأصل العربى. بمعنى: أن العلماء قالوا: هناك معان ثانوية غير المعانى التى تعطيها الكلمة.. عندى فى اللغة العربية: تعريف الطرفين يفيد القصر.. أى " أنا الكاتب " تعنى: أن غيرى ليس بكاتب.

"إياك نعبد" تقديم المفعول أعطى قصرا.. فهذه المعانى الثانوية لا يمكن أن تترجم أبدا مع ترجمة القرآن الكريم إلى لغات أخرى. الذين يشتغلون بالترجمة الآن، يقولون: مهما رقيت الترجمة، وتقدمت، لا يمكن أن تغنى عن الأصل، وتنقل المعانى كاملة؟ لأن جزءا من الحقيقة يضيع، أثناء النقل من لغة إلى أخرى.. لذلك نرى كثيرا من الذين يحرصون على المعانى الدقيقة والأهداف المطلوبة، لا مندوحة لهم عن تعلم لغتها.. والتعامل السليم مع النص القرآنى

يقتضى فهم النص وإدراك مقاصده ومراميه.. شعر شكسبير إذا ترجم إلى اللغة العربية يفقد نصف قيمته الأدبية؟ لأن قيمته فى أصله، وليست القيمة عندنا نحن..

وفى جميع اللغات للأصل قيمة خاصة، والترجمات تخضع لتحريفات كثيرة. نعود إلى القول:بأن القرآن نزل عربيا، بلغة العرب.. ورسالة القرآن رسالة شاملة وعالمية.. فكيف يمكن أن يكون الخطاب القرآنى عالميا، وهو باللغة العربية، مع أن الأقوام الآخرين لا يعرفون العربية ؟ أثار الزمخشرى السؤال نفسه وأجاب عنه، قال فيما أذكر: إن التراجم تغنى فى هذه الحالة،لكن فى البلاغ لابد أن ينزل بلغة من اللغات.. وكونه ينزل بجميع لغات الأرض دفعة واحدة، فهذا يعنى أنه يحتاج إلى مائة نبى مثلا لكى ينزلوا ويتكلموا بلغات أقوامهم. لابد أن ينزل القرآن بلغة وحيدة، وعن طريق هذه اللغة الوحيدة، واستيعابه للمعانى، وقيام أهلها بالفهم، يصدر عن طريق الترجمة والبيان لجميع اللغات الأخرى، وبهذا يمكن أن أنقل للناس معانى القرآن.. القرآن فيه أمران: أهداف رئيسية، ومحاور، أو أحكام يمكن نقلها بدون حرج.. أما ما يصنع هذه الأحكام من الأسلوب القرآنى كله، يبقى فى الأصل.. فلا تحتاج الأمم الأخرى إليه.. فأترجم مثلا: المواريث، الحدود، خلاصة للقصة القرآنية.. أترجم خلاصات لأشياء كثيرة.. لكن الأساس يبقى: أنه كيف ينزل للعالمين بلغات كثيرة عالمية؟ هذا مستحيل.. ينزل بلغة واحدة، بقوم معينين، ثم ينقل عنهم، ويترجم، أو يفسر.. فلا أقدم للناس قرآنا مترجما، ولكن أقدم لهم، وأصدر أحكاما وقيما، وبعض السلوكيات المطلوبة فقط. لم تنفصل اللغة العربية عن الإسلام مذ طلعت على العالمين شمسه، فقد أصبحت جزءا منه يقوى ويضعف بضعفها! بل إن القضاء على العربية هو حكم على الإسلام نفسه بالموت.. وقد عمل الاستعمار العالمى على ذلك بدحرجة اللغة العربية إلى أسفل السلم التعليمى، وإبعادها عن آفاق الحضارة الحديثة، وتشجيع ساسة أوأساتذة

استعجمت ألسنتهم وأخلاقهم، وأمسى حديثهم بالعربية مثار استهزاء.. والمعروف فى تاريخنا من بدايته الأولى، التسوية بين علوم الدين وعلوم اللغة، وتدريس هذه إلى جانب تلك، وتيسير التعريب لكل راغب فيه ورفع مكانته المادية والأدبية[١]

فيتخذ الشيخ الغزالي من موضوع أحقية ترجمة معاني وتفسير القرآن لا القرآن نفسه منطلقا ينعي فيه على المرجوين ودعاة التحول إلى لغة الغرب وحصر العربية في المعاهد والمساجد وهي قضية وشبهة أثيرت في عصره وتصدى لها الكثير من العلماء كما أشار الشيخ إلى أن النبي مبلغ رسالة القرآن معنى وهدفا وأمة القرآن مكلفة كفاية بتبليغ رسالة الرسول إلى أقوام الدنيا تحقيقا لعالمية الرسالة المحمدية وتحقيقا لعالمية النبوة الخاتمة لسيد الرسل وخاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو واجب مقدس في تبليغ الرسالة التي حملها إياهم رسول الله صلى الله عليه وسلم "بلغوا عني ولو آية"

* * *

(١) كيف نتعامل مع القرآن ص ١٩٠ – ١٩٢

المبحث السادس:
مفهوم النسخ في القرآن عند الشيخ الغزالي

مفهوم النسخ فى القرآن:

قال الشيخ الغزالي :

فى الحقيقة، الاتجاه بين جميع العلماء المحدثين الذين التقيت بهم أو استمعت إليهم أو قرأت لهم، كانوا ضد المعنى الذى شاع بين المتأخرين من المفسرين من أن النسخ، بمعنى إبطال آيات فى القرآن، موجود.. وجدت أن الشيخ الفقيه المؤرخ الأستاذ الخضرى ، رفض النسخ رفضا باتا[١] وقال: لا يكون إلا تخصيص عام، أو تقييد مطلق أو تفصيل مجمل.. والشيخ رشيد رضا فعل هذا بما هو أوضح وتكلم عن آية: "ما ننسخ من آية أو ننسها"[٢] .

فبين أن الآيات: تكليفية وتكوينية، وأن الذى تنسخه آية سورة البقرة هنا هو الآيات التكوينية، وليست هناك آيات تكليفية نسخت بهذه الآية.. ومعنى التكوينية معروف وهو خوارق العادات التى كان يؤيد بها الأنبياء، وهى التى تتغير بتغير الأزمنة.. أما الآيات التكليفية فأنا نظرت إليها نظرة واقعية عند قوله تعالى: "وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون"[٣]

(١) الشيخ الخضري لم يرفض فكرة النسخ بالمعنى الشائع عند الجمهور في الجملة وإنما تأول الآيات التي جاءت في سياق واحد وقالوا إنها منسوخة على المعنى الذي ذكره شيخنا الغزالي . انظر : أصول الفقه /الخضري ص ٢٤٥-٢٥١

(٢) سورة البقرة آية ١٠٦ .

(٣) سورة النحل آية ١٠١ .

الخازن، قال: إن هذه الآية جاءت ردا على أسئلة بأن محمدا يقرر حكما ثم ينسخه! فتساءلت: هذه الآية من سورة النحل المكية، أين هى الأحكام التى تندر المشركون بها لأنها نسخت بعد أن نزلت وحدث اضطراب فى تقرير الأحكام بسبب ذلك؟.. لا يوجد.. وهذا الكلام عن سبب نزول الآية مختلق.. ولم يوجد أحد من المشركين قال: إن محمدا يقرر حكما شرعيا ثم ينسخه.. ما وجد.. لأنه ما وجد حكم فى مكة نسخ بآية مكية.

لم يعرف فى تاريخ النزول ولا فى تاريخ التشريع أن حكما نزل فى مكة ثم نزل فى مكة نفسها حكم ناسخ له، القرآن لم يعرف ذلك.. فإذا، الكلام باطل، ولا توجد أحكام بطل معناها.. وكل ما هنالك أن هناك عدة آيات نظر فيها، وكان النظر قاصرا مثل قوله تعالى: " الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا"[١].

فالآيات الأولى تأمر بوقوف الواحد لعشرة، ثم نسخت بأن يقف لاثنين.. الشيخ الخضرى رحمه الله قال[٢] إن هذه رخصة مع عزيمة، والرخصة مع العزيمة ليست نسخا. الحكم الدائم الباقى: أن يقف المسلم لعشرة.. وهو أهل لهذا، أما التخفيف فى أن يقف لاثنين هذه رخصة، وهذا هو الحكم الصحيح. وأما آية: "علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في

(١) سورة الأنفال آية ٦٦ .

(٢) بل استظهر الشيخ الخضري النسخ هنا فقال : الظاهر أن تعريف النسخ ينطبق على هذه الآية لأن الأولى كانت توجب عليهم الصبر لعشرة أمثالهم والثانية رفعت هذا الوجوب وأوجبت شيئا آخر وهو صبرهم لضعفهم وربما يقال إن الرخص مع العزائم كذلك ولم يقل أحد إن الرخصة تنسخ العزيمة . أصول الفقه ص٢٤٩ .

سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه"[١] التى قيل إنها نسخت أول سورة المزمل، فهذا غير صحيح، لأن سورة المزمل موجهة إلى النبي عليه الصلاة والسلام تفرض عليه أن يقوم الليل، وقد ظل قيام الليل فريضة عليه إلي أن لحق بالرفيق الأعلى.. وتكرر الأمر فى سورة الإسراء: "ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا"[٢] المهم، أن عددا من الصحابة قلد النبى عليه الصلاة والسلام فى قيام الليل بالصورة التى رسمت فى أول سورة المزمل. ولكن الله يعلم طبيعة الجماهير التى تكدح فى النهار فى عملها، وليست مكلفة برسالة كصاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام، ولذلك قال: فاقرءوا ما تيسر منه "أما صاحب الرسالة، فالأمر بالنسبة إليه كما هو، فلا نسخ فى الآية إطلاقا والزعم بأن مئة وعشرين آية من آيات الدعوة نسخت بآية السيف، هو حماقة غريبة دلت على أن الجماهير المسلمة فى أيام التخلف العقلى أو العلمى فى حضارتنا جهلوا القرآن، ونسوا بهذا الجهل كيف يدعون إلى الله وكيف يحركون الدعوة وكيف يضعون نماذج حسنة للعرض الحسن.. ولعل هذا من أسباب فشل الدعوة الإسلامية ووقوف هذه الدعوة فى أيام كثيرة عن أداء رسالتها، ظن أن السيف هو الذى يؤدى واجب التبليغ! وهذا باطل باتفاق العقلاء.

فقصة النسخ، أو الحكم بتحنيط بعض الآيات، فهى موجودة ولكن لا تعمل، هذا باطل، وليس فى القرآن أبدا آية يمكن أن يقال إنها عطلت عن العمل، وحكم عليها بالموت.. هذا باطل..كل آية يمكن أن تعمل، لكن الحكيم هو الذى يعرف الظروف

(١) سورة المزمل آية ٢٠

(٢) سورة الإسراء آية ٧٩ .

التى يمكن أن تعمل فيها الآية، وبذلك توزع آيات القرآن على أحوال البشر بالحكمة والموعظة الحسنة.

بالنسبة لسياق آية:

"ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير" ألا يفيد السياق بأن القضية قضية نسخ شرائع سابقة بشريعة جديدة؟ السياق قاطع بأنه لا مكان للقول بالنسخ التكليفى هنا.. والشيخ رشيد ذكر هذا الموضوع.. فالكلام في آية: "ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير"[١] هو كلام عن القدرة وليس عن أحكام تكلفية وإلا قال: "ألم تعلم بأن الله عليم حكيم " مثلا بدل "قدير" وقوله تعالى: "أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل "[٢] قاطع فى أنه اقتراح آيات كونية. فما الذى سئله موسى من قبل؟ نريد أن نرى الله جهرة، نريد كذا وكذا، فهؤلاء يريدون آيات كونية أو خوارق عادات تثبت البرهنة على رسالة محمد عليه الصلاة والسلام.، أما السياق من قبل فهو كلام فى بنى إسرائيل. يقول تعالى: (وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين)[٣] بدأ الحديث إليهم بأنهم غير مؤمنين بما لديهم ولا بما لدى غيرهم، إلى أن قال جل شأنه "ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم" .فالكلام هنا

(١) سورة البقرة آية ١٠٧

(٢) سورة البقرة آية ١٠٨

(٣) سورة البقرة آية ٩١

واضح فى أن القرآن الكريم حين نزل، رحم الله به العرب وخصهم بفضله، وأعطاهم رسالة جديدة غير الكلام السابق الذى كان الأنبياء الأولون يتلقونه من الله ويؤيدهم فيه رفع الطور أحيانا وما كان يتم من معجزات. نزول القرآن، إلى جانب نسخ الآيات الكونية، هو نسخ لبعض شرائع أهل الكتاب.. القرآن نسخ بعض الشرائع القديمة من غير شك، وبدأ يشكل النفس البشرية من جديد، على طريقته فى إيقاظ مواهبها وقيادتها إلى الله: فليس فى القرآن تناقض إطلاقا..كل آية لها سياقها الذى تعمل فيه [1]

ليس الشيخ الغزالي بأول من رفض النسخ في القرآن وإنما كان واحدا من سلسلة من أسماء وعلماء بارزين في مجال الدراسات القرآنية والإسلامية ذهبوا مذهبه وكانت لهم حججهم وأدلتهم التي ترجح مذاهبهم تلك على أن هذا المذهب لا يلغي الاتجاه الآخر وهو القائل بالنسخ في القرآن ولهم أدلتهم المزيدة في هذا الباب والذي أراه هو موقف الوسط في هذه القضية أن هناك نسخا في القرآن ولكنه قليل لا يرقى أن يكون موضوعا كبيرا فالشواهد القرآنية قولا وفعلا تثبت ذلك القليل ولكن هذا الباب (القول بالنسخ) هو من باب ما ذكره الشيخ ابن عاشور أن من وجد بضاعته قليلة راح يزيدها من هنا وهناك حتى تصلح مضوعا كبيرا (انظر ابن عاشور التحرير والتنوير ٤٦/١) إضافة إلى الدراسات الكبيرة والقيمة التي قام بها د.مصطفى زيد والتي تثبت النسخ ولا تلغيه تماما إنما كما أسلفت أنه باب محدود جدا لا يصلح أن يشكل قضية إضافة إلى علماء التفسير وصفوا ضمن شروط من يتصدى للتفسير أن يعرف ناسخه ومنسوخه

(١) كيف نتعامل مع القرآن / ص٨٢-٨٥

في دلالة واضحة على أن السلف يعدون أن النسخ أمرا ذا بال لا يمكن أن يغفل أو يهمل على الأقل للمتصدي للتفسير تحت أي ظرف

وهذا السيوطي في الإتقان يرى أن لا يجوز لمن يتعاطى التفسير إلا أن يكون جامعا للعلوم التي يحتاج المفسر إليها وهي خمسة عشر علما عد منها النسخ والناسخ والمنسوخ ليعلم الحكم من غيره[1].

* * *

(١) الإتقان في علوم القرآن جلال الدين السيوطي تحقيق عصام فارس الحرستاني دار الجيل بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٨ ٥٣٧/٢ وانظر أصول التفسير ومناهجه عمر يوسف حمزة مكتبة الأقصى قطر الطبعة الثانية ١٩٩٥ ص ٢٣

الخاتمة

نعم.. لشيخنا الغزالي جهد كبير في علوم القرآن الكريم يذكر فيشكر وقد حاولنا في هذا البحث تتبع القضايا التي أثيرت في زمنه وكان له منها مواقف فاحصة ناقدة ومفيدة:

١) التفسير المضوعي بمعنييه الوحدة المتكاملة للسورة أو القضية الواحدة في القرآن وألف في الأول نحو تفسير موضوعي وفي الثاني المحاور الخمسة وقد انتهى إلى أن هذا هو التفسير النموذج والذي ينبغي أن يقدم على غيره لما له من شمولية وإحاطة بمقاصد القرآن ومعانيه خاصة في هذا العصر الحديث.

٢) التفسير العلمي أو الإعجاز العلمي والذي عارض فيه الالتزام بالمصطلح وإن كان في الهدف لا يبعد كثيرا عن أهداف المتمسكين أو القائلين بهما وإن كان للشيخ الجليل مبرراته المقنعة وهي أن نربأ بكتاب الله أن يدور مع مقاصد البشر وعلومهم وهو الأصل والمهيمن

٣) التفسير بالمأثورة والتفسير بالرأي حيث ينتصر الشيخ لهذا الأخير سائقا العديد من المسوغات والضوابط التي يمتاز بها عارضا سلبيات الآخر وما جره على علم التفسير من تشويه ومغالطات

٤) المدارس القرآنية الحديثة (مناهج المفسرين) وهو إن ذكرها في عجالة إلا أنه لا يخفى علينا تلك النظرة الفاحصة واللائمة للبعض في اعتماد بعض الروايات دون تدقيق وتمحيص ومن ثم نسبتها إلى الدين وتفسير الكتاب الكريم دون وقفة مراجعة

٥) ترجمة معاني القرآن حيث ذكر ما عليه جماهير أهل العلم من المعاصرين من أن ترجمة القرآن تذهب بإعجازه ولا مناص من ترجمة المعاني حفاظا على الإعجاز الذي نزل به

٦) النسخ، ربما لم يخرج الغزالي عن موقف الكثير من علماء عصره وربما لم يكن له موقف مميز في هذه القضية ولكن التزامه كأحد علماء الأمة أملى عليه أن يدلي بدلوه في هذه القضية والتي أحسب أن الشيخ آثر أن يتخذ هذا الموقف المخالف للقائلين بالنسخ نصرة لكتاب الله ورفعة له من أن تناله الألسن والنقص والاختلاف وهو لم يبعد ولم يغرب كثيرا عن روح الحقيقة

نظرات ووقفات متأملة متأنية كانت للشيخ الغزالي في هذه القضايا القرآنية لم يتناولها كالمعتاد في مذاهب العلماء كموضوعات للمدراسة بينما كان تركيزه على تأثير هذه الموضوعات ومدى خطورتها ودورها الذي تلعبه بجانب الدراسات القرآنية موقف المجدد وموقف الناقد والمؤصل الحريص على دينه وعلوم دينه وهو الموقف الذي يستصحبه شيخنا الكبير عند المعالجة والدفاع والرد

* * *

ثبت بأهم المراجع:

- القرآن الكريم.
- الإسلام والعلاقات الدولية / الشيخ محمود شلتوت
- أصول الفقه /الخضري.
- التفسير الموضوعي للقرآن الكريم / أحمد السيد الكومي، محمد أحمد يوسف قاسم / ط الأولى / ١٤٠٢ ه، ١٩٨٢ م.
- خطرات حول التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، محاضرة ألقاها الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا. مدونة بملتقى أهل التفسير على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)

http://www.tafsir.net/vb/showthread.php?t=٨٥٨٢

- الشيخ الغزالي كما عرفته / يوسف القرضاوي - دار الشروق - القاهرة - ١٤٢٠ه - ٢٠٠٠م.
- الشيخ محمد الغزالي.. صور من حياة مجاهد عظيم ودراسة لجوانب من فكره - عبد الحليم عويس وآخرون / دار الصحوة للنشر - القاهرة ١٤١٣ه = ١٩٩٣.
- الشيخ محمد الغزالي.الموقع الفكري والمعارك الحربية- محمد عمارة/ الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٢م.
- صحيح مسلم بشرح النووي / دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ط الثالثة.

- القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين / محمد الصادق إبراهيم عرجون / دار القم دمشق - الدار الشامية بيروت / ط الثانية (١٤١٠، ١٩٨٩م)
- كيف نتعامل مع القرآن الكريم في مدارسة الأستاذ عمر عبيد حسنة / نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ط ٧ سنة ٢٠٠٥م.
- المحاور الخمسة للقرآن الكريم/ الشيخ محمد الغزالي / ط دار الشروق.
- مناهل العرفان في علوم القرآن / دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ط الثانية.
- نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم/ الشيخ محمد الغزالي، طبعة دار الشروق ٢٠٠٦.
- نظرات في القرآن/ الشيخ محمد الغزالي/ نهضة مصر.
- النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين محمد رجب بيومي - دار القلم - دمشق ١٤٢٠ ه ١٩٩٩.

* * *

الفهرس

الموضوع الصفحة
المقدمة ٤٠١
المبحث الأول: التفسير الموضوعي ٤٠٣
المبحث الثاني: التفسير العلمي ٤١٠
المبحث الثالث: التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي ٤٢٢
المبحث الرابع: المدارس القرآنية الحديثة (مناهج المفسرين) ٤٢٧
المبحث الخامس: ترجمة معاني القرآن ٤٣٠
المبحث السادس: النسخ ٤٣٤
الخاتمة ٤٤٠
ثبت بأهم المراجع ٤٤٢

• • •